مفكرة

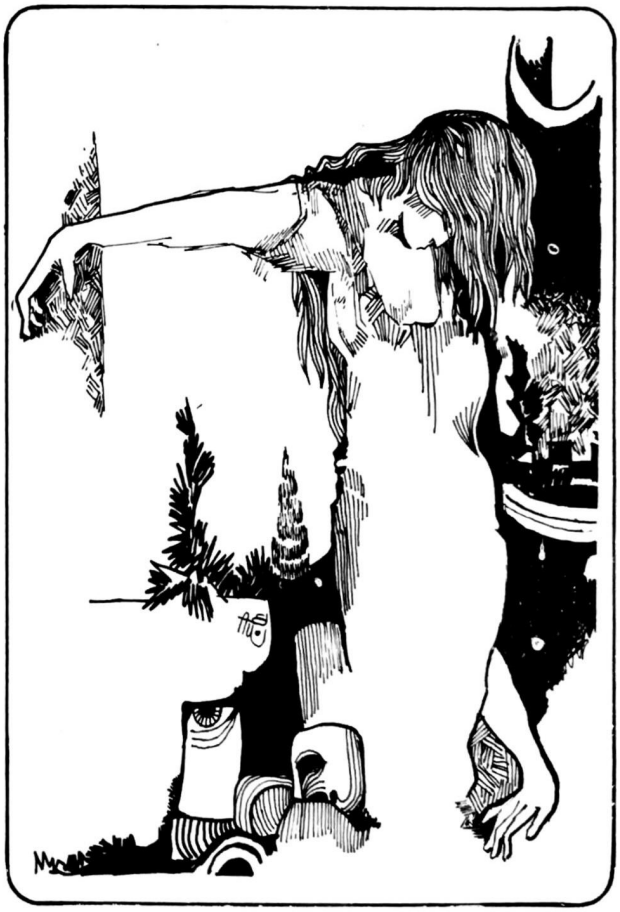

وثيقة عرس

فتح باب السجن ، واخذت اجراس الرحيل تقرع بارتعاد وهي تتسلق اسوار الحياة ، لكن الرحيل عن ارض الوطن يمزق الاحشاء بلا رحمة . وهنا قال رفيقي ، وصليل القيد في قدميه ويديه يعزف سمفونية الانين وعذاب السنين :

ـ كيف نترك الرفاق يعانون هنا ونرحل !!

وبعد ان صمت هنيهة اردف يقول ودموعه تنزف الما :

ـ ان التلوي في سرداب الموت بين الرفاق اشرف الف مرة من العيش في جنات الحياة بعيدا عنهم .

حاولت ان اواسيه ، لكن مواساتي كانت تتكسر وتترنح ثم تسقط صريعة قبل ان تتسلق اوتاري الصوتية ... آه ، من يقدر على مواساة مواساتي ... وجاءني صوت رفيقي ثانية ، وكانه ادرك ما يجول بخاطري :

ـ ما اقسى ان ينتزع الحبيب من احضان محبوبه ... اليس انتزاع الروح اسهل !؟.

لم اجبه ، فقد كنت ادرك مدى حبه للرفاق ، وكم من مرة قال ، ((لا حياة لي بدون رفاقي ، رفاقي هم حياتي ، وهم الامل المتسلق شعاب افكاري ، وخفقات الحنين في فؤادي)) .

وقوله ذات مرة ، ((لم احب جيفارا كثائر بقدر ما احببته لعشقه وحبه الكبير لرفاقه)) .

كان الالم يغشانا جميعا لمفارقتنا رفاق المسيرة ، عبر طريقها النضالي الطويل ، لكن رفيقا ذاك ، كان الالم يعصره ، يمزقه ، ويحرق اعصابه ، فقد كان حبه للرفاق اكبر من قامته المديدة ، وعشقه للرفاقية كان اقوى من خفقات قلبه المتدفقة بتيار الحياة وديمومته الازلية .

قلت له بعد ان طال صمته وحزنه : لا تبتئس يا رفيقي ، فها انت ستعود من جديد الى احضان الرفاق ، لتعيش معهم النضال كما يجب ان يعاش ، وسيكون نضالك واياهم بداية الطريق لتحرير باقي الرفاق من الاسر الصهيوني ، والمعتقلات الفاشية الموحشة .

رفع راسه ، ونظر مطولا في عيني المكدودتين ، وتمتم بكلمات لم افهمها ، ثم عاد الى صمته واجترار آلامه ، دون ان يقوى على التخلص من مرارة ترحيله بعيدا عن رفاقه الذين بقوا داخل المعتقلات يعانون المعاناة كلها .

اخيرا ، وصلنا بيروت ، واستقبلنا الرفاق بابتساماتهم الوردية ، وحنانهم الدافىء ، وحبهم الكبير الرائع ... ونظرت الى رفيقي من خلال زخم الحب هذا ، فرايت الحياة تدب في عروقه ، وسمعته طيلة الوقت يقص على الرفاق عن ضرورة تحرير الرفاق الذين ما زالوا في المعتقل ... وعندما قيل لنا ، ((يجب ان تاخذوا شهورا من الراحة بعد سنوات الاسر الطويلة)) ، كاد الدم ينبثق من كل مسامات جسده الضعيف الواهن ، ثم انفجر يقول في غضب ومرارة : ـ متى كانت الثورات تنفق باسترخاء فوق دماء الشهداء !! ثم ماذا سيقول عنا غسان كنفاني ، وبابلو نيرودا ، وجيفارا غزة ! ماذا سيقول عنا ((تل الزعتر)) و ((جسر الباشا)) واحراش جرش وعجلون !! ثم ماذا ستقول عنا جدران المعتقلات ، وغياهب الظلمة في ليل زنازين العذاب !! ماذا .. ماذا .. ماذا ..

ولم تمض ايام حتى كان رفيقا يدق ابواب الكلية العسكرية ، وهو يحمل بيده وثيقة عرسه ، وثيقة التحاقه في الكلية ، فقد ادرك ان طريق التحرير ، تحرير رفاقه ، وتحرير كل ذرة من تراب الوطن ، انما يمر عبر قيادة اركان المسيرة الثورية ، عبر الكلية العسكرية .

أحمد مخيمر